المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:09، العدد:01 (2025)، ص129-147

# الصراع الوثني المسيحي بالمقاطعات الإفريقية خلال القرن الثالث للميلاد ودوره في تشكل السردية التاريخية المسيحية

# The Pagan-Christian Conflict in the African Provinces During the Third Century AD and Its Role in Forming the Christian Historical Narrative

سمير بشكي*
مخبر المجتمع الجزائري المعاصر
جامعة سطيف 02 (الجزائر)
Sa.bechki@univ-setif2.dz

محفوظ خالد
جامعة سطيف 02 (الجزائر)
khaledjugutrtha06@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025/02/24
تاريخ القبول:
2025/05/04

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المسيحية
- ✓ المقاطعات الإفريقية
- ✓ الإمبراطورية الرومانية
- ✓ التاريخ المسيحي

الملخص:

شهدت المقاطعات الافريقية مطلع القرن الثالث للميلاد تحولات سياسية وعسكرية، تسببت في احداث تغييرات على مستوى البيئة الثقافية والدينية للمنطقة؛ إذ برزت الديانة المسيحية كقوة روحية واجهت السلطة الوثنية ومعتقداتها التي تجذرت وسط المجتمع الإفريقي، وقد عُرفت هاته الفترة بالجدال العقدي بين المسيحيين والوثنيين؛ وقد ساهم هذا الأخير في تطور حركة التأليف التاريخي خلال القرن الثالث للميلاد، إذ قدمت النخب المحلية محاور جديدة للصراع ساهمت في توثيق أحداثه التي عكست روح العصر، حيث حاول كل طرف تسجيل رؤيته وموقفه من الأحداث والسعي إلى صياغة تاريخ يعكس هويته ومعتقده. تهدف هذه الدراسة الى البحث في تجليات الصراع المسيحي الوثني خلال القرن الثالث للميلاد، وأثره في بروز السردية التاريخية المسيحية، وذلك من خلال استحضار مختلف المواضيع التي تطرقت لها المصادر والبحث في خلفيات ودوافع مؤلفيها خلال القرن الثالث للميلاد، وذلك لأجل الوصول الى مظاهر تأثير الاختلافات العقدية على حركة التدوين خلال ذات الفترة.

Article info

Received:
24/02/2025
Accepted:
04/05/2025

Key words:
- ✓ Christianity
- ✓ African provinces
- ✓ Roman empire
- ✓ Christian historiograhy

Abstract:

In the early third century AD, the African provinces faced political and military changes that altered their cultural and religious landscapes. Christianity emerged, challenging the pagan authority deeply rooted in society. This period saw intense doctrinal debates between Christians and pagans, which influenced the development of historical writing. Local elites documented these conflicts, reflecting the era's spirit and attempting to create histories that represented their identities and beliefs. This study investigates the Christian-pagan conflict and its impact on Christian historical narratives in the third century AD by examining contemporary sources and the motivations behind their authors.

*المؤلف المرسل

**مقدمة**

شهدت الإمبراطورية الرومانية مطلع القرن الثالث تحولات سياسية وعسكرية، تسببت في إحداث شرخ في المنظومة الدينية الرومانية؛ حيث شكل الصراع الوثني المسيحي أحد أهم الأحداث التي ميزت هاته الفترة التاريخية، إذ ظهرت الديانة المسيحية كقوة روحية واجهت السلطة الوثنية ومعتقداتها التي تجذرت وسط الإمبراطورية الرومانية ومجتمع المقاطعات الإفريقية خاصة، حيث تعددت الطرق التي اعتمد عليها كل من الوثنيين والمسيحيين لأجل تفسير اختلاف وجهة النظر فيم بينهم بخصوص مشاكل ومآسي الدولة، ومحاولة دحض اتهامات الطرف الآخر. إذ تمَّ اعتبار هذا الصراع سببا رئيسيا في تطور حركة التأليف التاريخي خلال القرن الثالث للميلاد، حيث ساهمت السردية التاريخية المسيحية بشكل كبير في توضيح وجهة النظر المسيحية وذلك عن طريق تقديم تفسيرات مناقضة للرواية الوثنية للأحداث.

إن الدارس لهاته الفترة الزمنية يلاحظ بوضوح بداية تشكل أدبيات مسيحية منذ القرن الثالث سعت الى ربط اضطهادات السلطة الوثنية للمسيحيين بتقهقر الإمبراطورية خلال هاته الفترة، ومحاولة تفسيرها على أنها دليل على صدق روايتهم، ومن جهة أخرى عملت على تشكيل رواية مضادة لما جاء به الوثنيون الذي اتهموا المسيحيين بمخالفتهم للتقاليد الرومانية.

تهدف هذه الدراسة إلى التمييز بين نمطين متناقضين للكتابة التاريخية التي عالجت الصراع الوثني المسيحي خلال القرن الثالث للميلاد؛ بداية بالسردية الوثنية التي يتم وصفها بالعقلانية والمشروعية كونها تمثل السلطة الرومانية خلال تلك الفترة، أما الثانية هي السردية المسيحية باعتبارها خرافة جديدة دخيلة على المجتمع والتقاليد الرومانية، حيث نسعى من خلال هذه الدراسة إلى توضيح خلفيات هذا الصراع الديني خلال القرن الثالث للميلاد، من خلال البحث في الجذور التاريخية لبداية تشكل السردية المسيحية وأهم الدوافع التي عجلت ببروزها وأهم السياقات التي وردت فيها، مُعتمدين على كتابات رجال الدين المسيحيين الذين ساهموا في بناء سردية مغايرة للسردية الوثنية، فالمُلاحظ أن المؤرخ الوثني لا يستحضر وجهة نظر المسيحي في تفسيره للأحداث لاعتقاده كونها خرافات ويرى أن إنهاءها ضروري، ولذلك تنطلق دراستنا من التساؤل الإشكالي التالي: **ما حقيقة الخلاف العقائدي الذي نشب بين الوثنيين والمسيحيين، وفيما تكمن مظاهره ؟ والى أي مدى أثَّر في تشكل السردية التاريخية المسيحية خلال القرن الثالث للميلاد؟**

للإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على تحليل مضمون ما تناقلته مصادر القرن الثالث للميلاد التي عالجت موضوع الدراسة، وذلك انطلاقا من خلال استحضار مؤلفات رجال الدين المسيحيين الذين ساهموا بشكل كبير في التأسيس لسردية تاريخية تعمل على بلورة الهوية الدينية المسيحية بالمقاطعات الإفريقية.


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

### 1. المسيحية والمسيحيون في كتابات الوثنيين خلال القرنين الأول والثاني للميلاد

تمتعت الديانة المسيحية بالحرية المطلقة خلال السنوات الأولى لظهورها، نظرا لانتهاج السلطة الرومانية سياسة التسامح تجاه الديانات الأخرى وذلك مالم تشكل خطرا على وحدة الإمبراطورية، إضافة لعدم تمييز السلطة الرومانية بين الديانتين المسيحية واليهودية التي اعتقدت أنهما تشكلان فرقة واحدة، وقد انتشرت من المشرق الى الغرب بفضل مجهودات القديس بولس الذي حدد تعاليمها ونظمها، وتمكن من استقطاب فئات كبيرة من الفقراء والعبيد وامتدت لتشمل النخب المثقفة (الحويري، 1995، صفحة 58)، ولم يدم تسامح السلطة الرومانية تجاه المسيحيين طويلا خاصة بعد انفصالهم عن اليهود الذين سعوا إلى تحويل الحقد الموجه ضدهم من طرف الوثنين إلى المسيحين (lassére, 2005, p. 316)، مستغلين فرصة سقوط بعض الامتيازات التي يتمتع بها اليهود كإعفائهم من عبادة الإمبراطور الروماني ورفض المسيحية الاعتراف بهاتة العبادة (شاوش، 1444هـ /2022 م، صفحة 37)، التي أعلنت مقاطعة كل الممارسات الوثنية الشائعة خاصة الاحتفالات وتقديم القرابين وعبادة الإمبراطور التي تعتبر مخالفتها جريمة سياسية، وقد تسببت في مباشرة اضطهاد وتجريم المسيحيين، كما شجعت الأقلام الوثنية في بداية تشكيل صور نمطية سلبية حول الديانة المسيحية.

بدأت تتشكل معالم الرواية الوثنية المُعادية للمسيحية خلال أواخر القرن الأول وأثناء القرن الثاني للميلاد، في فترة أصبحت المسيحية وأتباعها مجموعة تُحاول الانسجام مع المجتمع الروماني الوثني (Inglebert, 1996, p. 567)، حيث ينظر المؤرخ الروماني "**تاكيتوس Tacitus**" ( 55–120م) للمسيحية ومعتنقيها في مؤلفه "**الحوليات**"، على أنهم فئة من الرجال المكروهين الذين يعتنقون خرافة بغيضة، وهو ما جعل الإمبراطور نيرون يُحملهم مسؤولية الحريق الذي مس العاصمة روما عام 64 م (Tacite, 1965, pp. XV, 44)، كما يصفهم كاتب سير الأباطرة "**سويتونيوس Suetonius**" الذي عاش ما بين نهاية القرن الأول والثاني للميلاد المسيحيين بدورهم أنهم فئة متهمة باتباع خرافة جديدة وآثمة (مذنبة) (Suéton, 1928, p. XVI)؛ إن الملاحظ من هذين المؤلفين أنهما بادرا في التأسيس لسردية تاريخية تسعى لتشكيل صورة نمطية تُسيء للمسيحيين وفقاً لسياقات مختلفة لعل أبرزها يتجسد في سعي المثقفين الوثنيين لتشويه سمعة المسيحيين ووصفهم بأوصاف شنيعة خاصة بعد أن حظيت الديانة المسيحية باهتمام واسع من مختلف الطبقات الاجتماعية الرومانية، ويُفهم من هذا التهجم على المسيحيين من طرف الوثنيين الذي يُترجم صراعا بين طائفة مسيحية كارهة للوثنيين الذين يبادلونهم الكراهية بدورهم (حافظ، 2007، صفحة 119)، كما تُوحي من جهة أخرى إلى تخوف النخب الرومانية من الديانة الجديدة التي أصبحت تهدد وحدة الإمبراطورية، وهو ما يمكن أن نستخلصه من خلال خطاب السياسي الروماني "**غايوس كيلنيوس مايكيناس**" (Gaius Cilnius Maecenas) (68 ق.م – 6 ق.م.) الموجه للإمبراطور "**أوكتافيوس أغسطس Octavius Augustus**" سنة 29 ق.م، حول ضرورة معاقبة وتهميش أولئك الذين يسعون إلى تشويه الطقوس الرومانية والدعوة لآلهة جديدة بدلا من آلهة روما القديمة، والتي غالبا ما تكون


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

سببا في وقوع المكائد والمؤامرات التي لا تعود بالنفع على الإمبراطورية، كما يدعوه الى ضرورة مراقبة الكهنة والعرافين الذين غالبا ما تشجع أعمالهم وتنبؤاتهم على الثورة (Cassius, 1955, pp. LII, 36).

يُفهم من خطاب "**مايكيناس**" أن النخب الرومانية وعلى الرغم من تخوفها من الديانات الأجنبية لم تُمانع من التعايش جنبا إلى جنب معها، مالم تهدد الديانة الرسمية، وأن سلك الكهنوت قد أُخضع تحت الرقابة، ولقد تسببت مغالاة المسيحين وعدم اعترافهم بالديانة الرسمية الرومانية، إلى اعتبارها "**ضارة بسلام الآلهة**" (لورو، 2008، صفحة 104).

ولعل أن السردية الوثنية سعت بشكل حثيث للاستخفاف بالديانة المسيحية والمسيحيين خاصة بعد اعلانهم القطيعة مع الطقوس الرسمية للعبادة الإمبراطورية والتي تشكل بذلك إعلانا صريحا للخروج عن الأعراف الرومانية، حيث يصف "**بليني الشاب Pliny the younger**" 61- 113م المعروف باعتداله وشهرته الفاضلة، والذي اشتهر برسائله التي كان البعض منها موجها للإمبراطور "**ترايانوس Traianus**" (98-117م) المسيحيين بأوصاف شنيعة بطريقة غير مباشرة في رسالته إلى الإمبراطور ترايانوس، غير أنه أشار لهم ضمنيا بأنهم عنيدون، وجامدون في معتقداتهم التي سببت في اضطرابات اجتماعية، ويشبههم كذلك أنهم كالمُصابين بالجنون، كما لاحظ أنهم يجتمعون قبل الفجر لترديد ترانيم تمجد المسيح كإله ويتعهدون بعدم ارتكاب جرائم كالسرقة أو الزنا. تبدو نظرة بليني الشاب للمسيحيين كظاهرة غريبة عن قيم الرومان، وأن العديد منهم تراجعوا عن المسيحية عندما تم اجبارهم على عبادة الآلهة الرومانية (Pliny, 1879, p. 96)، ويعكس تصور بليني الشاب للمسيحيين النظرة الوثنية التي تعتبر المسيحيين مجموعة يملؤها الشر وعنصرا خطيرا يشكل تهديدا على المجتمع الروماني وتسعى لتقويض أركانه ومقوماته (الحويري، 1995، صفحة 59).

ويشير الإفريقي صاحب رواية التحولات "**أبوليوس المادوري**" (125 – 170 م) إلى قصة لزوجة خباز يُرجح أنها مسيحية، حيث يصفها بأبشع الصفات؛ كعدم صونها لشرف زوجها، ووصفها بالمخلوق النجس الملم بكل الرذائل، ووصفها بصفات دنيئة كالحسد والفسق والجشع، تجاوزت كل الأديان وتدعي أن لها مذبحا مخصص لإله واحد (Apulée, 1901, pp. IX, 14, 3, 5).

تسبب عدم توافق المسيحية مع الطائفة الوثنية، في تشكيل سردية تاريخية تسعى لإقصاء الطرف المسيحي ووصفه بأبشع الصفات وانكار وجوده، وتسعى لتحميله مسؤولية كل المشاكل التي تصيب الإمبراطورية الرومانية، وقد مهدت هذه الكتابات الوضع لرسم ملامح الصراع الوثني –المسيحي خلال القرن الثالث للميلاد، أين يسعى كل طرف للبحث عن حجج لإضفاء الشرعية على معتقده وتوظيفه في إطار الصراع الفكري بين المعتقدين الذي يكون فيه اقصاء الطرف الآخر عملا مُمنهجا يهدف من خلاله صاحبه الى اقصاء الطرف المسيحي باعتباره معتقدا ساذجا.


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

## 2. إشكالية التأريخ والرقابة خلال القرن الثالث للميلاد

عُرفت الفترة الزمنية المعروفة باسم "**العصور القديمة المتأخرة**" بمجموعة من التغييرات الجذرية التي ساهمت في تحديد مصير الإمبراطورية الرومانية بداية من القرن الثالث للميلاد، وهي الفترة التي تميزت بتدهور العلاقة بين الإمبراطور الروماني ومجلس الشيوخ؛ حيث تَحول هذا الأخير إلى وسيلة يستخدمها الجيش لتزكية الإمبراطور الجديد، مُعلنةً بذلك عن عهد جديد تميز ببداية تراجع سلطة المجالس السيناتورية، وهو الأمر الذي تسبب في وقوع أزمات حادة انتشرت على حدود الإمبراطورية وبداخل مقاطعاتها، بالإضافة إلى تدهور الوضع الاجتماعي والاقتصادي نتيجة لتزايد نفقات الحروب المتتالية التي أنهكت خزينة الإمبراطورية، وقد حاول بعض الأباطرة القيام بإصلاحات ظرفية وذلك من خلال إقرار سياسات ضريبية قاسية لأجل تغطية العجز المالي نتيجة نفقات الحروب (Christol & Nany, 2003, p. 218)، ولعل أكثر ما ميَّز هذه الفترة الزمنية هو بروز الديانة المسيحية التي حاولت استغلال الفراغ الروحي بالإمبراطورية، ومنافسة الديانة الرسمية التي تراجعت شعبيتها بسبب الكوارث والمشاكل التي أصابت الإمبراطورية.

شكلت المسيحية التغيير الرئيسي خلال فترة العصور القديمة المتأخرة، وهو الموضوع الذي تداولته بعض الدراسات، نظرا لكونه الحدث الرئيسي الذي ساهم في تقرير مصير الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث للميلاد، وذلك استنادا إلى مبادئها التي دعت إلى التوحيد وضرورة التخلي عن العبادات الوثنية وتقديم القرابين للإمبراطور الروماني، وهو ما تسبب بمباشرة الإمبراطورية حملة اضطهاد واسعة مست المسيحيين الذين دعوا لإهمال الطقوس الوثنية التي كان يُعتقد أنها صانعة أمجاد الإمبراطورية (Brown, 1989, p. 51)، ولقد ساهمت "**أزمة المعتقد**" هذه بين الوثنيين والمسيحيين الذين مسهم الاضطهاد العنيف إلى تنشيط الساحة الفكرية وذلك من خلال قيام كل من المسيحين والوثنيين بتأليف أعمال أدبية ساهمت في تبرير وجهة نظر كل طرف من الأطراف المتنازعة، قصد التأسيس لسردية تاريخية وظيفية، تخدم توجه كل طرف من أجل دحض وإقصاء الطرف الآخر.

أثرت الصراعات العقدية على السردية التاريخية خلال القرن الثالث للميلاد؛ إذ سعى كل من المسيحيين والوثنيين إلى كتابة تاريخ "مُوجه" يسعى من خلاله كل طرف الى الدفاع عن معتقده وتحميل الطرف الآخر سبب المشاكل والمآسي التي تعاني منها الإمبراطورية، وهو الاتجاه الذي يتجلى بوضوح في مصادر أزمة القرن الثالث أو المصادر المتأخرة منها، والتي سعى كُتابها للتأريخ للأزمة انطلاقا من معتقداتهم خدمة لها (Cosme, 1998, p. 14)، ولذلك فإن أول ما يواجه الباحث في أزمة القرن الثالث للميلاد هو إشكالية المصادر النادرة التي تؤرخ لهاته الفترة الزمنية، وهي الفترة التي تعتبر من أكثر الفترات غموضا في تاريخ الإمبراطورية الرومانية أين تتشابك المصادر بشكل سيء السمعة (Harper, 2015, p. 225)، وعلى الرغم من تميز فترة العصور القديمة المتأخرة بالمصادر المحفوظة التي تم تجاهل اتساعها وتنوعها أحيانا حتى من قبل المؤرخين القدماء أنفسهم، وإن تواجدت فهي متأخرة عن تاريخ وقوع الحدث، بالإضافة إلى كثرت الفجوات التاريخية بها، فضلا عن أيديولوجية وطبيعة الانتماء السياسي للمؤلفين الذي من شأنه أن يؤثر على طبيعة النص التاريخي ومضمونه وسياقه في الأحداث؛


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

خاصة في فترة كانت تتميز بالصراع ما بين السياسيين والعسكريين من جهة والوثنيين والمسيحيين من جهة أخرى، وهو ما أوجد تاريخا موجها خُصص لأغراض شخصية تخدم مصلحة الطرف المُتغلب –الإمبراطور– ولنا في تاريخ أغسطس (Histoire Auguste) مثال على ذلك، فضلا عن جعل الصراع يكتسي طابعا عقديا تجلت مظاهره بوضوح على السردية التاريخية خلال القرن الثالث للميلاد.

وعليه فإن هاته الفترة الغامضة من تاريخ الإمبراطورية قد قدمت مصادر أدبية شحيحة تعرضت لهاته الفترة بداية من الأسقف "**ترتليانوس**" الذي ألف ما بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث ميلادي، إلى غاية "زوزيموس" الذي عاش خلال القرن السادس ميلادي، وهي المجموعة التي تم جمعها في الجدول التالي:

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| 01 | كوينتوس سبتيميوس فلورنس ترتليانوس Quintus Septimius Florens Tertullianus | ح 160–220م؟ | 08 | أوزيبيوس القيصري Eusebius Pamphili | 265 – 339م؟ |
| 02 | ماركوس مينوكيوس فيليكس Marcus Minucius Felix | ح 200–250م؟ | 09 | سيكستوس أوريليوس فيكتور Sextus Aurelius Victor | 327م – 389م |
| 03 | الأسقف كبريانوس Thascius Caecilius Cyprianus | ح 200 / 210 – 258م؟ | 10 | تاريخ أغسطس Historia Augusta | أواخر القرن الرابع ميلادي |
| 04 | بوبليوس هيرنيوس ديكسيبوس Publius Herennius Dexippus | 210 – 278م | 11 | فلافيوس إتروبيوس Flavius Eutropius | منتصف القرن الرابع للميلاد |
| 05 | لوكيوس كايكيليوس فيرميانوس لاكتانسيوس Lucius Caecilius Firmianus Lactantius | 250 – 325م | 12 | باولوس أوروزيوس Paulus Orosius | 380م؟ – 416/17م |
| 06 | أرنوبيوس الإفريقي Arnobius | 255م؟ | 13 | زوزيموس Zozimus | 460 – 520م؟ |
| 07 | الشماس بونتيوس Pontius | | | | 258م؟ |

**جدول رقم 01: قائمة بأهم المصادر الوثنية والمسيحية أثناء فترة الفوضى الروحية خلال القرن الثالث للميلاد**

**المصدر: إعداد صاحبي المقال**

إن الملاحظ من هذا الجدول أن معظم المصادر متأخرة عن فترة الأزمة زمنيا، وأن أغلب المؤلفين إما قد نقلوا عن مصادر عايشت الأزمة، أو أنهم ليسوا أفارقة، وبالتالي فإننا أمام إشكالية تباين الروايات بناء على موقع المصدر من الأحداث ووفقا لأهميتها في السياق الذي يعالجه، ولذلك فإنه من الضرورة الإشارة إلى أن معظم الروايات تتحدر من خمسة مصادر أساسية إفريقية المنشأ وهم: الأسقف ترتليانوس، وكبريانوس القرطاجي،


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الشماس بونتيوس، لاكتانسيوس، أرنوبيوس الإفريقي من المسيحيين، في حين لم نسجل أي روايات وثنية إفريقية معاصرة للأحداث، وبالتالي فإن هاته الأدلة حول الأزمة قد لا تكفي للإحاطة بالموضوع خصوصا في ظل الانقسام والتضارب وانعدام الدقة في معظم هاته المصادر (خالد، 2020، صفحة 60)، نظرا للاختلاف الحاصل في جودة المعلومات ما بين المصادر المعاصرة للأحداث والمتأخرة أو البعيدة عن المقاطعات الإفريقية.

لقد أسست أزمة القرن الثالث لنوع أدبي جديد ظل يتطور تحت راية الدين المسيحي والذي عرفته الدراسات باسم الأدب اللاتيني المسيحي، وهو نوع أدبي ارتبط بالدرجة الأولى بظهور المسيحية في المقاطعات الافريقية؛ فبعد فترة خلو عاشته الساحة الأدبية الافريقية استمر لغاية القرن الثاني، وبظهور المسيحية شهدت المنطقة ميلاد نوع جديد من الجدال بين الكنيسة والسلطة الزمنية، حيث لعب المجادلون الافارقة دورا مهما في الدفاع عن المسيحية وشرحها للطرف الوثني عن طريق الخطب والمؤلفات (بشاري، 2013، صفحة 38)، الذي أوجد في نهاية المطاف مُنافحات في قالب نقاشات، حيث يعد هذا النوع من الأدب عملا تبشيريا بالدرجة الأولى يسعى للدفاع عن الدين الجديد وصد الاتهامات الصادرة ضده من طرف الوثنيين (Franchi, 2023, p. 300)، هذه التطورات أظهرت خلال فترة القرن الثالث للميلاد بروز سردية تسعى لمحاربة المسيحية والتهجم على معتنقيها، وذلك عن طريق السعي لتشكيل صورة نمطية عن هاته الديانة الأجنبية عن روما، حيث يبرز من مؤلف تاريخ أغسطس المثير للجدل تأييدا علنيا لأعضاء مجلس الشيوخ الروماني ويكره الامراء "**الدمويين**" من الجيش باعتبارهم طغاة من جهة، ومن جهة أخرى ترد إشارات على سخريته من الأدب اللاتيني المسيحي في عصره (Bonnet & Lançon, 1997, p. 39). وفي المقابل فعلى الرغم من عدم إمكانية اعتبار عمل المسيحي "ماركوس مينوكيوس فيليكس Marcus Minucius Felix"عملا عقائديا على سبيل المثال، بحيث أنه لم يذكر اسم المسيح، بل هو عمل سعى من خلاله صاحبه الى جعل الحقائق المسيحية معروفة لدى القراء المثقفين في ضوء إيجابي، والغرض منه بالنسبة للمؤلف هو تفسير المناقشات بين المسيحيين وغير المسيحيين في المجتمع الروماني خلال النصف الأول من القرن الثالث للميلاد وهذا يعني بين النخب من الوثنيين والمسيحيين (Bonnet & Lançon, 1997, p. 41)، إذ يُوضح هذا العمل طبيعة الصراع الوثني المسيحي؛ حيث يُجسد شخصية المُثقف الوثني واحكامه المسبقة ضد المسيحية، وشخصية المسيحي المثقف الذي عانى من رؤية دينه محتقرا.

لقد سعى "ماركوس مينوكيوس فيليكس" لكتابة عمل مبني على مُحاورة بين طرف وثني وآخر مسيحي، يسعى من خلاله صاحبه إلى تصحيح التشويه الذي طاله من طرف الوثنيين بطريقة معتدلة، ويأتي هذا العمل ليكتب تأريخا لفترة حساسة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية لصراع ديني أثر بشكل كبير على مستقبل الإمبراطورية ووحدتها الترابية؛ حيث يُلاحظ عن "**مينوكيوس فيليكس**" أنه سعى في محاورته إلى التركيز على مختلف الأُطر المعرفية السائدة والتحولات الاجتماعية والأخلاقية؛ حيث يركز هذا العمل في اهتمامات سكان الإمبراطورية الرومانية التي تمحورت حول: الهوية الدينية، العناية الإلهية، مصير الإمبراطورية (Monceaux, Hisoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe,


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

(1901, p. 492، و قد صاغها في محاورة تدور أحداثها في مدينة أوستيا (Ostie) الرومانية، في زمن الصراع المسيحي الوثني خلال النصف الأول من القرن الثالث، التي لم يُشر خلالها "**مينوكيوس فيليكس**" لمعاناة الاضطهاد الديني الذي طال المسيحيين، وراح يركز على علاقة الصداقة التي جمعت بينه وبين "**أوكتافيوس يونواريوس Octavius Januarius**" المسيحي "**وكايكيليوس نتاليس Caecilius Natalis**" الوثني، حيث يسرد وقائع الاحداث بعد وفاة "**أوكتافيوس**"؛ يستحضر في بدايته ذكرى العاطفة المُتبادلة بين الصديقين، ويستعرض باستمرار ذكرى عاطفتهم المُتبادلة، وخلال هاته العملية يشعر بالأسف الشديد لفقدان صديقه، حيث أن ذلك يوحي لنا أن فكرة الكتاب تولدت عن مُحادثة حقيقية بن الطرفين أدت بفضل حجة حاسمة إلى اعتناق صديقه الوثني للدين المسيحي

### 3. تشكل السردية المسيحية: من التغييب والاضطهاد إلى تحقيق رواية الانتصار

تبرز مصادر القرن الثالث والرابع للميلاد مظاهر العلاقة الجدلية بين كل من الطرفين الوثني والمسيحي في خضم فترة الصراع الديني خلال القرن الثالث للميلاد خصوصا، إذ تبرز كتابات النخب المحلية واقعا فعليا يُترجم الصراع العقدي الذي شكلت افريقيا مسرحه خلال القرن الثالث، الواقع الذي عبَّر عنه الخطيب أرنوبيوس في مؤلفه "**أعداء الأمة**" Adversus nationes : "...**إنكم لا تؤمنون بكتاباتنا ونحن لا نؤمن بكتاباتكم إننا نخترع كما تقولون أكاذيب عن المسيح، وتدلون بتصاريح لا أساس لها من الصحة وكاذبة عن آلهتكم لأنه لم ينزل إله من السماء أو رسم في شخصه وحياته نظامكم...**" (Arnobius, 1875, pp. 01, 56)، والذي يمكن أن يبرز مختلف مواطن الخلاف بين العقيدتين وانعكاساتها على بروز السردية المسيحية خلال القرن الثالث والتي يمكن حصرها فيم يلي:

#### 1.3.موقف المسيحيين من الأباطرة الوثنيين

دافع المسيحيون عن أنفسهم ضد اتهامات الوثنيين الذين اعتبروا المسيحيين سببا للمصائب التي مست الإمبراطورية وخطرا على وحدتها السياسية، ويتعامل في الصدد المسيحي "**ترتليانوس**" مع هاته الاتهامات بجدية تامة، حيث تعكس كتاباته واقع التوتر الحاصل بين السلطة السياسية الوثنية والمسيحيين، حيث يدافع في مؤلفيه "**المنافحة**" و "**إلى الأمم**" عن المسيحية، وعمل على إثبات مدى مصداقية المسيحية ودحض التهم الصادرة من طرف السلطة الوثنية (بشاري، 2013، صفحة 39)، إذ يوضح أن المسيحيين عاشوا مثل غيرهم من البشر وأظهروا احتراما للإمبراطور وولاء لا تشوبه شائبة، وفي وقت الاضطهاد اعتمد الأسقف "**كبريانوس**" على نفس الحُجة أن المسيحيين ليس لهم دخل في مصائب ذلك الوقت (Christol & Nany, 2003, p. 229).

شكلت الاضطهادات أحد أهم المواضيع التي شجعت الكتاب المسيحيين على مواجهة السلطة الوثنية، إذ تسبب عدم ممارسة المسيحيين لطقوس العبادة الإمبراطورية التي تقوم أساسا على مبدأ الاعتقاد والايمان بفعالية الامبراطور الروماني، وعلى الحاجة لجعل القوة الإمبراطورية حاضرة في المجتمع (Smadja, 2005, p. 225)،


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تهديدا واضحا لسلطة الإمبراطور، وهو ما عرضهم للشك في مدى ولائهم لشخص الإمبراطور (نشنش، 2009/2008، صفحة 182)، وتم اعتبارهم وفقا لـ: "**ترتليانوس**" أعداء للشعب والدولة (Tertullien, Aux Nations, 1852, pp. 01, XVII)، والحال أن "**ترتليانوس**" يوضح وجهة النظر المسيحية حول العبادة الإمبراطورية التي يعتبر فيها أن امتناع المسيحيين عن ممارسة طقوس عبادة الإمبراطور لا تعتبر قدحا في الذات الإمبراطورية، لكون المسيحيين يبجلون الإمبراطور عن طريق الصلاة لله والدعاء (ترتليانوس، 2001، صفحة 30)، وفي هذا الصدد يتهم "**ترتليانوس**" السلطة الوثنية بازدواجية المعايير خاصة في التعامل مع المسيحيين، الذي يرى أنها تعمل على اضطهاد المسيحيين لضرورة سياسية لأجل إرضاء العامة من الوثنيين وليس بمقتضى تحقيق العدل (ترتليانوس، 2001، صفحة 01).

تشير كتابات "**ترتليانوس**" إلى طبيعة الصراع المسيحي الوثني مطلع القرن الثالث، الذي يُلاحظ أنه أخذ بعدا هوياتي يسعى من خلاله الطرف المسيحي الى الدفاع عن نفسه ضد كل التهم الموجهة ضده بل ونجده يشير إلى أن هذا الاضطهاد في الأساس لا يسعى إلى الوصول لإقرار المسيحي بالفعل الذي ارتكبه بل إلى إنكار هويته الدينية (ترتليانوس، 2001، صفحة 07). وفي هذا الصدد يستغل "**ترتليانوس**" ثقافته القانونية في الرد على الاتهامات الوثنية وتبيين مواطن ضعف حجج السلطة الوثنية التي يرى أنها نابعة عن حقد دفين تمتد جذوره إلى عهد الإمبراطور "**نيرون**" تجاه المسيحيين الذي يعتبر الوجود المسيحي في حد ذاته جريمة يعاقب عليها القانون الروماني، ويستدل بعدم سعي القضاة الى محاولة إثبات التهم المنسوبة الى المسيحيين أو إجبارهم بالاعتراف بما نُسب لهم، حيث كان القضاة يكتفون بمعرفة إن كان المتهم مسيحيا أم لا بغض النظر عن جريمته (نشنش، 2009/2008، صفحة 166).

يُوضح ترتليانوس من جهة أخرى أوجه الاختلاف في طبيعة الحكم على الإمبراطور الصادرة عن كل من الوثنيين والمسيحيين؛ حيث نعتَ الأباطرة الذين أصدروا قرارات تقضي باضطهاد وملاحقة المسيحيين ، بالكفار وشمل الأباطرة من "**نيرون**" إلى غاية "**أنطونينوس التقي**"، ويثني على الإمبراطور "**ماركوس أوريليوس**" الذي اعتبره حاميا للمسيحيين (ترتليانوس، 2001، صفحة 05)، وعلى النقيض من الرواية التي جاء بها "**ترتليانوس**"، أظهر بعض الوثنيين اعتدالا في الطرح؛ حيث يعد "**أوريليوس فيكتور**" صاحب مؤلف "**تاريخ الأباطرة من أغسطس إلى قسطنطين**"، اعتدلا في الطرح والتأريخ لهاته الفترة التي لم يُظهر خلالها فيكتور تعصبا معاديا للمسيحيين بل أبان عن اعتدال في معالجته لأحداث القرن الثالث والرابع للميلاد، نراه يمتدح كلا من الإمبراطور "**قسطنطين** **Flavius Valerius Aurelius Constantinus**" (Bonnet & Lançon, 1997, p. 33).

تُظهر السردية المسيحية عقب الاضطهادات الكبرى تحولا كبيرا في علاقة المسيحيين تجاه الأباطرة الوثنيين، وكانت البداية مع الإمبراطور ديكيوس (Decius) الذي سعى الى إعادة توحيد الإمبراطورية الرومانية وإحياء الدين الروماني عن طريق إصدار مراسيم تلزم بإجبارية ملاحقة المسيحيين (شاوش، 1444 هـ / 2022


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

م، صفحة 40)، وإجبارهم تقديم القرابين للآلهة، إذ يصف "**لاكتانسيوس**" الإمبراطور "**ديكيوس**" بالوحش الملعون الذي أفسد سلام الكنيسة، ولكنه سقط في حملته ضد شعب الكارب (Carpes) (Lactantius, 1782, pp. 01, IV)، اعتمد المؤرخون المسيحيون في تفسيرهم سقوط الأباطرة بسبب اضطهادهم للمسيحيين بما أن الله عاقب المخالفين بهذه الطريقة فهل من الغريب أن يجرؤ أي شخص بعد ذلك على فعل أي شيء، أو حتى ابتكار أي شيء ضد جلالة الإله الواحد الذي يحكم كل الأشياء وفقا للاكتانسيوس (Lactantius, 1782, pp. 01, V).

يتفق كل من "**باولوس أوروزيوس Paulus Orosius**" و"ل**اكتانسيوس Lactantius**" و"**أرنوبيوس Arnoubius**" حول تفسير واحد مفاده أن الله عاقب الإمبراطور "**فاليريانوس Valerianus**" 153-260م مضطهد المسيحيين، بأسره لدى الملك الفارسي "**شابور الأول Shapur 1**" وعانى بسبب الاضطهاد من الإذلال والعبودية، لذلك رأى بأن عدم إقبال قاليانوس (Galianus) على الاضطهاد ومواصلته بمثابة فهمه للدرس وإصلاح ما أفسده أبوه وتوجه نحو إصلاح الكنائس (Orosius, 2014, pp. 07, XXII)، ويفسر "**لاكتانسيوس**" أن عقاب الله للإمبراطور "**فاليريانوس**" عبرة للأباطرة الذين يلونه، ويعلموا أن أعداء المسيح دائما ما ينالون الجزاء العادل على آثامهم (Lactantius, 1782, pp. 01, VI)، وأن هذه الأمثلة كانت لابد أن تردع الطغاة الذين جاءوا بعدهم، ولكنهم لم ييأسوا فحسب بل أصبحوا أكثر جرأة ووقاحة في أفعالهم الشريرة ضد الله، ولا يخفى أن الحادثة كانت محل تضارب بين المسيحيين والوثنيين حيث أثنى مؤلف تاريخ أغسطس على الإمبراطور "**قاليانوس**" الذي تمسك بالعادات السيناتورية (خالد، 2020)، ويستشهد كذلك "**لاكتانسيوس**" بالإمبراطور "**أوريليانوس**" الذي لم يتعظ بمصير سابقيه من الأباطرة كالإمبراطور "**فاليريانوس**"، وأن أفعاله التي أثارت غضب إله المسيحيين قد عجلت باغتياله من طرف مقربيه في كانوفوروريوم Caenophorurium في تراقيا (Lactantius, 1782, pp. 01, VI)، وبدورهم أبدى الوثنيون سخطهم على الكوارث التي آلت لها الإمبراطورية بسبب المسيحيين، ونستحضر في هذا المثال كتابات "**زوزيموس**" صاحب مؤلف "**التاريخ الجديد**" الذي تميز بمعاداته للمسيحية، حيث يتهم قسطنطين على جر الإمبراطورية نحو الهاوية (Bonnet & Lançon, 1997, p. 45)، ويرجع جُل الشرور التي أصابت الإمبراطورية للمسيحيين (Cosme, 1998, p. 14).

يُفسر "**أوروزيوس**" ظاهرة الحركات الانفصالية التي صعبت من مهمة الأباطرة خلال القرن الثالث أنها كانت نتيجة عقاب الله لكل من شارك في الاضطهاد الذي أصاب كامل الإمبراطورية وامتد بذلك عقابه إلى المقاطعات، وأدى إلى انفصال الأمم المتمركزة على حدود الإمبراطورية والتي تُرك لها المجال هناك فجأة من كل جانب، وما إن أطلق لهم زمام السيطرة حتى غزو جميع الأراضي الرومانية (Orosius, 2014, pp. 07, XXII). ومن جهة أخرى يتهجم "**أرنوبيوس**" على الوثنيين الذين يعتبرون المسيحيين مسؤولين عن الدمار الذي أصاب العالم وذلك منذ ظهورهم، وأن الناس تأثروا بذلك وحتى الآلهة أنفسهم ممن تخلوا عن مهمتهم المعتادة،


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وحاول دحض هذه الأطروحات التي يصفها بالشائعات المبتذلة، وكي لا يشعر الوثنيون بالنصر تجاه هذه القضية (Arnobius, 1875, pp. 01, I).

### 2.3.الوثنية صانعة مجد الإمبراطورية الرومانية

اعتبرت الكتابات الوثنية الديانة المسيحية تهديدا حقيقيا على وحدة وسلامة الإمبراطورية الرومانية التي دائما ما اقترنت امجادها بفضل عناية الآلهة الدائمة لها؛ باعتبار المعتقد الروماني مبنيا على كون الدين القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الإمبراطورية، وبالتالي فإن نجاح روما مرتبط بدعم الآلهة، كما يُنظر للأباطرة على أنهم مُشرفون على جميع الأنشطة الدينية عبر الإمبراطورية ويعتبرون أوصياء باسم الآلهة (شاوش، 1444 هـ / 2022 م، صفحة 32)، ولذلك فإن الدين الروماني يعتبر أساس الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية (Ferrero, 1920, p. 819).

أظهر الوثنيون عدم رضاهم التام لما آلت إليه الإمبراطورية خلال القرن الثالث من أوضاع مزرية بسبب الحروب المتكررة والتقهقر الاقتصادي، وهو الوضع الذي تم تفسيره على أنه نتيجة لديانة المسيحيين وعدم اتباعهم الديانة الرسمية للإمبراطورية، وتعتبر كتابات "**زوزيموس**" خير مثال على معاداة الوثنيين للمسيحية، حيث يتهم قسطنطين على جر الإمبراطورية نحو الهاوية بعد إقراره لمرسوم التسامح الديني سنة 313م (Bonnet & Lançon, 1997, p. 45)، وفي المقابل عمل المسيحيون على بلورة سردية مناهضة لاتهامات الوثنيين الغير مقبولة وفقا لهم، حيث عمل المسيحيون على نفي دور دين الرومان في بناء إمبراطوريتهم، وتكذيب مزاعمهم التي تفيد بأن مرتبتهم الرفيعة جاءت بسبب ورعهم تجاه آلهتهم التي خصت الرومان بهذه المكانة (ترتليانوس، 2001، صفحة 25)، ويستشهد "**ترتليانوس**" أن الرومان لم يكونوا مُتدينين من قبل، ويتساءل كيف يمكن أن يكون احترام الرومان للآلهة وإجلالهم الدقيق هو سبب تفوقهم، في حين أن امبراطوريتهم لا يمكن أن تنمو إلا من خلال ازدراء آلهة الشعوب المعادية لها (Tertullien, Aux Nations, 1852, pp. 02, XVII)، كما نفي "**ترتليانوس**" تصور الوثنيين القائل بأن إهمال المسيحيين لآلهة روما سبب في الكوارث، واعتبرها مجرد حجج واهية حاول الوثنيون استغلالها لأجل اضطهاد المسيحيين، ويستدل بعديد الأزمات والحروب التي عايشتها الإمبراطورية قبل ظهور المسيحية (Tertullien, Aux Nations, 1852, pp. 01, IX).

اعتمدت السردية المسيحية على السخرية من الآلهة الرومانية التي وصفتها بالعجز وعدم القدرة على حماية الإمبراطورية من التهديدات الداخلية والخارجية، ولذلك يفسر "**أوروزيوس**" قدوم المسيحية كرد فعل على فشل نظام السلطة الوثنية التي لم تتمكن الآلهة من الحفاظ على مجدها (Orosius, 2014, pp. 07, I)، ومن جهة أخرى يعمل "**أوروزيوس**" على تقسيم تاريخ الإمبراطورية إلى مرحلتين أساسيتين؛ مرحلة العصور المسيحية و مرحلة الارتباك السابق لعدم الإيمان بسبب نعمة المسيح الحاضرة في إشارة إلى فترة ما قبل ظهور الديانة المسيحية (Orosius, 2014, pp. 07, XLIV)، وبدوره يسخر الخطيب "**أرنوبيوس**" من معتقدات الوثنيين وآلهتهم التي عجزت عن إنقاذ الإمبراطورية في عدة حروب ضد الشعوب الجرمانية والفرس (Arnobius,


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

(1875, pp. 01, XVI)، ويشير إلى كل الكوارث التي وقعت بالإمبراطورية قبل انتشار المسيحية ويصف حتى هجمات القبائل الجرمانية على الحدود الرومانية والتي كانت بقيادة كل من قبائل "**الآلامان Alamans**" و"**القوط Goths**" (Arnobius, 1875, pp. 01, IV)، وهو ما تم تفسيره بمثابة الاعتراف بفشل السياسة الرومانية والأباطرة الذين استعملوا الآلهة لأجل فرض سلطته، إذ يعتبر "**أرنوبيوس**" وغيره من المسيحيين أن الإمبراطور مجرد خادم للإله (خالد، 2024، صفحة 137).

وفي المقابل يشير "أرنوبيوس" أن الحروب قد تقلصت بالفعل منذ ظهور المسيحيين نظرا لتعاليم دينهم الذي يحث على عدم مقابلة العنف بالعنف، بل ينص على تحمل الاضطهاد بدلا من إلحاق الأذى (Arnobius, 1875, pp. 01, VI)، بل أنها حققت انتصارات كبيرة وتوسعت حدودها، وتطرق للواقع الاقتصادي للإمبراطورية من وفرة في الإنتاج واتساع حركة التجارة (Arnobius, 1875, pp. 01, XIV)، ولذلك يرى "**أرنوبيوس**" أن الآلهة التي تعجز عن حماية نفسها من الاتهامات الموجهة ضدها من طرف المسيحيين إلا عن طريق الاستعانة بالبشر، فهي بالتأكيد عاجزة عن صنع مجد الإمبراطورية (Arnobius, 1875, pp. 01, XX).

### 3.3.المسيحيون سبب الأوبئة والكوارث الطبيعية

تسبب وباء الطاعون الذي تفشى من مقاطعات جبهة الدانوب خلال منتصف القرن الثالث وتوسع ليشمل مختلف مقاطعات الإمبراطورية الرومانية في بث الذعر لدى السلطة الوثنية التي أنهكتها الحروب ضد الفرس والقبائل الجرمانية، حيث اعتقد الأباطرة الوثنيون أن الآلهة قد تخلت عن روما وتركتها لمصيرها، وأنه بات من الضروري تقديم القرابين لكسب رضى الآلهة وتوحيد شعوب الإمبراطورية تحت راية واحدة قصد استرجاع مجد روما؛ ونتيجة لذلك تصاعدت نداءات وسط مجتمع الوثنيين تدعوا الى اضطهاد المسيحيين الذين حملوهم مسؤولية الكوارث التي حلت بالإمبراطورية وأن تخليهم عن عبادة آلهتها هو سبب هذه الكوارث، وكانت الاستجابة الأولى خلال فترة حكم الامبراطور "**تريبونيان غالوس Trebonian Gallus**" إلى إصدار أوامر تقتضي تقديم الأضاحي لأجل إرضاء الالهة التي ستحد من انتشار الطاعون (Monceaux, Histoire littéraire de l'Afrique du nord depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, 1905, p. 223)، والتي قابلها رفض من طرف المسيحيين ليجتمع الوثنيون في الساحات وينادوا بإلقاء الأسقف " **كبريانوس**" للأسود مقابل ذلك (عولمي، 1436-1437هـ/2016-2017م، صفحة 293).

سعى المؤلفون المسيحيون لتشكيل سردية تدحض افتراءات الوثنيين، وكانت البداية مع "**ترتليانوس**" الذي حاول تفسير مختلف الكوارث والأزمات التي تتعرض لها الإمبراطورية بسبب عبادتهم للأوثان (ترتليانوس، 2001، صفحة 41)، ومن جهة أخرى تعتبر كتابات الأسقف القرطاجي "**كبريانوس**" وشماسه "**بونتيوس Pontius**" مصدرا مهما لمعرفة تاريخ افريقيا خلال منتصف القرن الثالث للميلاد، إذ يرد الأسقف "**كبريانوس**" على ادعاءات الوثنيين من خلال مؤلفه الموجه إلى الوثني "**ديمتريانوس Ad Déméterien**" الذي يُحمل من خلاله المسيحيين مسؤولية الحروب والمجاعات والأوبئة، حيث يرد عليه "**كبريانوس**": "... **إن ديمتريانوس يرى**


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

**أن سبب كل المصائب التي أصابت الإمبراطورية والمجتمع بسبب المسيحيين الذي لا يعبدون آلهة روما..."** (Cyprien, Ad Déméterien, 2003, p. III)، ويُفسر الأسقف "**كبريانوس**" سبب هذه الأوبئة الى شيخوخة العالم واقتراب نهايته. كما يهاجم الأسقف "**كبريانوس**" الوثنيين واليهود بسبب خوفهم من الموت بسبب الوباء، وأن الموت بالنسبة للمسيحيين هو الخلاص، ويشير كذلك الى أن هذا الخوف يعتبر فرصة لهم للاطلاع على تعاليم المسيحية ويشبههم الأسقف "**كبريانوس**" في صورة جيش جديد يتشكل بفضل الوباء من المؤمنين المتمسكين بدينهم بقوة (Cyprien, De la mortalité, 1869, p. XV)، وهي نفس المبادئ التي ينادي بها "**ترتليانوس**" أن دماء المسيحين هي بذور لمسيحيين جدد (ترتليانوس، 2001).

حاول بدوره الخطيب "**أرنوبيوس**" دحض افتراءات الوثنيين التي حملت المسيحيين مسؤولية وباء الطاعون، بالبحث في أساس هذا الادعاء الذي يروي أن الطاعون قد حل على الأرض بعد ظهور المسيحيين، حيث يذكر أن: "... **خصومي – أي الوثنيين– يقولون إن الأوبئة والجفاف والحروب والمجاعات والجراد والفئران و حبات البرد وغيرها من الأشياء المؤذية التي تهاجم ممتلكات البشر تجلبها الآلهة علينا...**" (Arnobius, 1875, pp. 01, III)، بالإضافة لذلك نجد أن الخطيب "أرنوبيوس" يسخر من الوثنيين ومعتقدهم من خلال اتهام المسيحيين بإغضاب الآلهة، وهي ما وصفه بحماقة الجانب الوثني في نسب صفات البشر "**الغضب**" للآلهة (خالد، 2024، صفحة 137)، وهي التي يصفها في موضع آخر من مؤلفه بالعجز والضعف وعدم القدرة على حماية أنفسهم من اتهامات المسيحيين، وهو ما يتطلب تدخل البشر لصد الاتهامات الموجهة لهم "الاضطهاد" (Arnobius, 1875, pp. 01, XX).

يصور "**أوروزيوس**" في مؤلفه أن زمن الوثنية كان عبارة عن سلسلة طويلة من المصائب وأن الأمر نفسه في زمنه، حيث أرسلت العناية الإلهية الكوارث لتحويل الرومان وهدايتهم للدين المسيحي، حيث يحاول "**أوروزيوس**" تفسير وفاة الإمبراطور "ديكيوس Decius" وانتشار وباء الطاعون بالمقاطعات والمدن التي أمر الإمبراطور "**ديكيوس**" بتدمير كنائسها، انتقاما من طرف إله المسيحيين الذي انتصر للظلم الذي عانوا منه بسبب أعدائه (Orosius, 2014, pp. 07, XXI).

ما نستنتجه أن المسيحيين خلال هذه الفترة حاولوا توظيف مشاكل الإمبراطورية في خطاباتهم الدينية التي تنتقد السياسة الرومانية، والتي تحولت لاحقا الى محرك قوي لجمهور المسيحيين بالمقاطعات الإفريقية (خالد، 2020، صفحة 229)، ويظهر على أن كل من الأسقف "**كبريانوس**" والخطيب "**أرنوبيوس**" و"**أوروزيوس**" قد اعتمدوا على هذا الخطاب الإسكاتولوجي الذي حاول من خلاله المؤلفون التضخيم من حجم الكارثة وتهويلها بصدد التأثير على الطرف الوثني وإبراز غضب الإله المسيحي نتيجة تعديات الوثنيين المتكررة واضطهاداتهم العنيفة نحوه (أومغار، 2017، صفحة 55)، فالأسقف "**كبريانوس**" يشخص سبب الطاعون في خطابه للوثني "**ديمتريانوس**" أن: "... **تراكم الشرور المثالي... وأن سبب هذا الخراب هو جهلكم بالحقيقة وليس لعدم عبادتنا**


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

**لآلهتكم، بل لأنكم لا تعبدون الاله الحقيقي الحاكم الأعلى والمهيمن على الكون كله...**" (Cyprien, Ad Déméterien, 2003, p. V).

### 4.3. قصص شهداء المسيحية كمرجعية تاريخية

منذ أحداث 180/07/17م صار يُنظر للشهداء نظرة تقديس وتبجيل واحترام، بل ويعظمون تعظيما جليلا، وكان هؤلاء الشهداء يشكلون قدوة لاتباع المسيحية الذين صاروا أكثر تشبثا بها، ولعل ذاك ما أدى الى زيادة أعداد المتنصرين الذين يضمرون العداء للسلطة الرومانية، وصار هؤلاء الشهداء موضوعا استغلته الأقلام المسيحية لأجل استحضار معاناة المسيحيين في مواجهة الاضطهادات الوثنية (عمران، 1432-1433/2010-2011م ، صفحة 131)، إذ كان يتم تسجيل أسماء الشهداء في سجلات تُحفظ على مستوى كل كنيسة بالمقاطعات الإفريقية، بهدف أن تبقى سيرتهم متواصلة الذكر بين المسيحيين (دانيال، 1999، صفحة 208).

حيث تشكل قصة الشهيدة "**بيربيتوا Perpetué**" ورفقائها التي استشهدت بمدرج قرطاجة 203/03/7م أثناء فترة حكم الإمبراطور "**سيبتيميوس سويروس Septimius Severus**"، وذلك بسبب رفضها تقديم تضحية لأجل سلامة الإمبراطور (Raven, 1993, pp. 153, 154)، وهي الظاهرة التي يصورها الأسقف "**كبريانوس**" في رسالته 76 بمثابة الطريق الوحيد لتحقيق الخلاص والنصر على الوثنية (Lancel & Mattei, 2003, p. 23)، والملاحظ أن الكتاب المسيحيين قد اعتمدوا على قصص الشهداء في بناء سرديتهم على جانبين رئيسيين؛ الأول تمثل في التبشير للمسيحية والإشادة ببطولات الشهداء المسيحيين وهو ما عبره عنه في رسالته رقم 10 التي مدح فيها المسيحيين الصامدين في وجه التعذيب المُمنهج ضدهم من قبل الوثنيين وهم الفئة الذين وصفهم بجنود المسيح في معسكر الله، الذي أفضى في الأخير إلى زيادة عدد المسيحيين (Cyprian, 1984, pp. Letter X, I, 1)، أما الجانب الثاني فقد تمثل في ذم المتخاذلين من المسيحيين ومهاجمة الوثنيين الذين توعدهم بالخلود في الشقاء (خالد، 2020، صفحة 230).

أثبتت بدورها قصص شهداء المسيحيين الانقسام الواقع داخل الجيش الروماني بإفريقيا؛ إذ يذكر ترتليانوس في مؤلفه "**التاج**" حادثة الجندي المسيحي التي وقعت سنة 211م أثناء توزيع الهبة الإمبراطورية، أين رفض المجند اظهار امتنانه من خلال ارتداء إكليل من الغار، مُتحججا بكونه مسيحيا ولذلك تمت ادانته في معسكر الفيلق "**بلمبازيس Lambaesis**" (Tertullien, De la couronne du soldat, 1852, p. I)، ولقد انتهت أغلبية أعمال تمرد الجنود بعقوبة الإعدام، وهو ما حدث كذلك مع كل من المجندين "**فابيوس Fabius**" حامل الراية في "**قيصرية Caesarea**" و"**تيباسيوس Tipasius**" بـ"**تيغافا Tigava**" بوادي الشلف (Lancel & Mattei, 2003, p. 23)، وهي الظاهرة التي ثمنها عديد الكُتاب المسيحيين وسعوا لتخليدها كنوع من أنواع المواجهة ضد الوثنية بل وتسعى لجعل الشهداء نماذج يُقتدى بهم لأجل استقطاب أتباع جدد، وتُظهر قصة إعدام المسيحي "**ماكسيميليان Maximilien**" بتيفاست Thevest (تبسة حاليا) سنة 295م، الذي عبر عن رفضه الخدمة العسكرية وحمل السلاح حتى لا يخدم سيدا آخر غير المسيح (Lancel & Mattei, 2003, p. 23).


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تسبب مرسوم الإمبراطور "**فاليريانوس**" الموجه ضد المسيحيين سنة 257م إلى محاولة تضييق الخناق على اجتماعات رجال الدين المسيحيين فضلا عن تهديدهم بالنفي في حالة رفضهم التضحية (Monceaux, Histoire littéraire de l'Afrique du nord depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, 1905, p. 232)، ليتبعه بمرسوم آخر سنة 258م يقضي بإعدام كل المتمردين الذين رفضوا تقديم الأضاحي ومصادرة أملاكهم، وفي هذا الصدد نستحضر قصة حماس كل من الشماس "**جاك Jacques**" والقارئ "**ماريان Marien**" خلال فترة اضطهاد الإمبراطور "**فاليريانوس**" أفريل 259م، بعد صدور المرسوم الثاني)، والتي تدور أحداثها بـ "**موقواس Muguas**" بضواحي كيرتا Cirta بمقاطعة نوميديا. والتي يصف بها الراوي تعرض المسيحيين للاضطهاد الذي كان مقررا سلفا بفضل الرعاية الإلهية، حيث يشير الراوي أن خطواتهما وُجهت بإرشاد المسيح نحو مكان تواجدهما، ويصف قسوة وعنجهية الولاة والجنود أثناء اضطهاد المسيحيين (Lancel & Mattei, 2003, p. 16).

### 4.السردية المسيحية في ميزان الموضوعية التاريخية

منذ ظهور المسيحية بالمقاطعات الإفريقية سعت النخب المسيحية للتصدي لمجموعة الاتهامات الوثنية كما حاولت تغيير الصور النمطية السلبية التي وصف بها الوثنيون خصومهم المسيحيين، حيث كانت البداية مع "**ترتليانوس**" ثم "**مينوكيوس فيليكس**" والأسقف "**كبريانوس**" واستمرت مع كل "**أرنوبيوس**" ولاكتانسيوس، وتميزت السردية المسيحية خلال القرن الثالث للميلاد باتفاق جميع النخب المسيحية على التأسيس لسردية مضادة للرواية الرسمية تهدف للتصدي لاتهامات الوثنيين بتحميلهم المسيحيين مسؤولية المصائب التي تعرضت لها الإمبراطورية، وقد عملت على معالجة هذه القضية من وجهات نظر متعددة وفقا لما تم ذكره.

عكست السردية المسيحية مظهرا من مظاهر العلاقة بين السلطة الزمنية الرومانية الوثنية والكنيسة المسيحية، التي تُرجمت في شكل علاقة تضاد بين الوثنيين والمسيحيين، المذمومين باعتبارهم أصحاب خرافة جديدة آثمة (جيبون، 1997، صفحة 300)، إذ غلب على هذه السرديات طابع إيديولوجي يعمل على اقصاء الطرف الوثني، وهو ما يؤخذ على السردية المسيحية التي يظهر من خلال كتابات مؤلفيها أنها تخلت عن الموضوعية في عديد القضايا التي شكلت محور الخلاف مع الوثنيين، والتي يمكن أن نحصرها في مرحلتين؛ الأولى سعت خلالها النخب المسيحية للتأسيس لسردية مضادة للرواية الوثنية أثناء فترة الاضطهادات خلال القرن الثالث للميلاد، حيث انحصرت مواضيعها حول تصوير المسيحيين كضحايا للنظام الامبراطوري على خلاف الرواية الوثنية التي يظهر أنها قد أعطت للاضطهاد بُعدا قانونيا تمثل في اعتبار المسيحيين طائفة متمردة تهدد النظام العام، وهو ما يُفسر التباين الذي وقع بين الرواية المسيحية والوثنية خلال اضطهاد الإمبراطور "**ديكيوس**" الذي صورته السردية المسيحية أنه ارتكب إبادة جماعية بحق المسيحيين في حين اعتبرته المصادر الوثنية أنه اجراء إداري يهدف لفرض النظام العام، والمُلاحظ خلال هذه المرحلة أن النخب المسيحية كتبت تاريخا بلاغيا


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

سعى من خلاله المسيحيون إلى الرد على التفسير الوثني للتاريخ وذلك لأسباب دينية محضة (Inglebert, Arnobe et l'histoire de Rome, 1999, p. 153).

بدأت المرحلة الثانية مع اعلان قسطنطين الأول مرسوم التسامح الديني الذي رحب به المؤلفون المسيحيون، مثل "**أوروزيوس**" الذي رأى أن وصول قسطنطين للحكم كان لصالح الجميع (Orosius, 2014, p. 26)، وهو ما ساعد في تشكيل رواية الانتصار لدى المسيحيين، وهو ما يتجلى في عديد الكتابات اللاحقة التي أرخت لفترة القرن الثالث في فترات متأخرة، حيث يستهل "**أوروزيوس**" مقدمة مؤلفه الذي كتبه "**ضد الوثنيين Historiarum Adversum Paganos** "، أنه يهدف للرد على الثرثرة الفارغة وانحراف أولئك الذين هم غرباء عن مدينة الله، ووصفه لهم بأنهم غير أخلاقيين واعتبر أنهم سبب كل المصائب التي تعرضت لها الإمبراطورية الرومانية (خالد، 2020، صفحة 62)، كما يشير لاكتانسيوس في خاتمة مؤلفه حول المضطهدين أن الرب قد انتقم للمسيحيين من بطش الوثنيين الذين محاهم الرب من الأرض (Lactantius, 1782)

ومن جهة أخرى على الرغم من عدم موضوعية المؤلفات المسيحية إلا أنها سمحت لنا بالاطلاع على عديد الجوانب التي لم تشر لها المصادر الوثنية، مثل ظاهرة الاختطاف التي انتشرت في مقاطعة نوميديا التي أشار لها الأسقف كبريانوس، وتشير إلى انعدام الأمن وعدم قدرة الإدارة الرومانية على فرض الأمن وتحسين الأوضاع الاجتماعية بالمقاطعات الافريقية (خالد، 2022، صفحة 207)، في فترة كانت تشهد فيها المنطقة رخاءً اقتصاديا كبيرا بشهادة الخطيب أرنوبيوس (Arnobius, 1875, p. 16).

**خاتمة**

تعاظم العداء بين الوثنية والمسيحية خلال القرن الثالث بسبب ابتعاد أتباع هذه الأخيرة عن ديانة الأجداد وامتناعهم عن تقديم الأضاحي لخلاص الإمبراطور، وهو الأمر الذي تم اعتباره بمثابة تهديد مباشر لوحدة الإمبراطورية الرومانية، حيث تم اعتباره بمثابة صراع وجودي بين ديانة الأجداد صانعة مجد الإمبراطورية وديانة ناشئة تهدد الاستقرار السياسي والديني، وقد عمل رجال الدين المسيحيون على محاولة إثبات شرعية ديانتهم من خلال التأسيس لسردية تاريخية تهتم بأهم قضايا المسيحيين خلال تلك الفترة، حيث جعلت من الاضطهاد أحد أهم محاور سرديتها التي تم اعتبارها مظهرا نضاليا يعزز من موقفها.

على الرغم من اهتمام معظم مصادر القرن الثالث بالمشاكل السياسية دون القضايا الأخرى، إلا أن المسيحيين تمكنوا من إدراجها في مؤلفاتهم ومحاولة تفسير إخفاقات الأباطرة نتيجة لعقاب من إله المسيحيين، وذلك ردا على الاضطهادات والمضايقات التي عانى منها المسيحيون. وهو ما يمكن اعتباره بعدا عن التحلي بالموضوعية في بعض المواطن وعدم انصاف بعض الأباطرة الذين تم وصفهم بأوصاف شنيعة من طرف بعض رجال الدين المسيحيين.


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يُفسر إقدام رجال الدين المسيحيين لتأسيس سردية تاريخية خلال القرن الثالث للميلاد، كمحاولة لتشكيل معالم هوية دينية خاصة بالمسيحيين، حيث سعت النخب المسيحية لتأليف "سردية بديلة للرواية الوثنية"، تنطلق من المعتقد والمبادئ المسيحية، وتعني بمعالجة مشاكل المسيحيين وفق مبادئ تحقق الارتباط والتلاحم فيم بينهم.

يتضح من الصور الحجاجية في المؤلفات المسيحية والوثنية؛ رغبة واضحة لتشكيل وعي جمعي لدى الفريقين، عبر التأكيد على بعض القضايا والإسهاب في توضيح بعض المواقف، مع العمل على ربط أي حدث بالعناية الإلهية وهو ما يكشف تخطيطا محكما وممنهجا خلف هاته الكتابات، ومن جهة دحض ادعاءات الوثنية على أنها صانعة مجد الإمبراطورية، وضرورة القضاء على هاته الخرافة الجديدة.

**الملاحق**

شكل رقم 01: نقيشة تخلد أسماء شهداء 203/03/07م، الذين ذكرت أسماؤهم كالتالي: هؤلاء هم الشهداء ساتورنينوس، ريفوكاتوس، سوكوندولوس، فيليكيتاس، بيربيتوا، الذين تم اعدامهم يوم 7 مارس

المرجع: (Raven, 1993, p. 153)

**البيبليوغرافيا:**


1. Apulée. (1901). *Métamorphoses ou l'ane d'or.* (V. Betolaud, Trad.) Paris: Garnier fréres, libraries-editeurs.
2. Arnobius. (1875). ***Adversus gentes***. (t. A. Roberts, Éd., & t. w. fathers, Trad.) Edinburgh: James Donaldson, T & T. Clarck, 38 George street.
3. Bonnet, C., & Lançon, B. (1997). ***L'empire romain de 192 à 325 du haut empire à l'antiquité tardive.*** Paris: Ophrys-19.
4. Brown, P. (1989). ***The world of late antiquity 150-750 AD***. New York: WW Norton Company.
5. Cassius, D. (1955). ***Roman history.*** (E. Cary, Trad.) Massachusttes: William Heinemann ltd; Harvard university press.
6. Christol, M., & Nany, D. (2003). ***Rome et son empire.*** Paris: hachette superieur.
7. Cosme, P. (1998). ***L'état Romaine entre éclatement et continuité 192- 325.*** Paris: Seli Arslan.
8. Cyprian. (1984). ***The letters*** (Vols. Volume 1 (letters 1 -27)). (G. W. Clarke, Trans.) New-York: Newsman press.
9. Cyprien. (1869). ***De la mortalité.*** (A. Thibaut, Trad.) Tours.
10. Cyprien. (2003). ***Ad Déméterien.*** (J. C. fredouille, Trad.) Paris: CERF.



Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

11. Ferrero, G. (1920). **La ruin de la civilization antique la crise du troisiéme siècle**. *Revue des deux mondes (1829-1971), 55*(4).
12. Franchi, R. (2023). **Greek literature and Christian Doctrine in Early Christianity**: A Difficult Co-Existence. *literature*.
13. Harper, K. (2015). P**andemics and passages to late antiquity: rethinking the plague of c.249-270** described by Cyprian. *Journal of Roman Archaeology, 28*.
14. Hervé Inglebert) .Juillet - Septembre, 1996» .(L'histoire de Rome» dans l'antiquité tardive : un concept équivoque .*Société d'Études Latines de Bruxelles*.567 - 544 ،(3)*55* ،
15. Hervé Inglebert .(1999) .Arnobe et l'histoire de Rome .*L'Afrique du Nord antique, cultures et paysages. Actes du colloque de Nantes (Mai 1996) Besançon* .(164-151 الصفحات) Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité.
16. Lactantius. (1782). ***On the manner In which the persecutors died***. (B. Porteus, Trans.) London: Murray & Cochran fot T. Cadell.
17. Lancel, S., & Mattei, P. (2003). *Pax et concordia Chrétiens des premiers siécles en algerie (IIIe – IVe siécles).* (p. d. Mandouze, Éd.) Marsa.
18. lassére, J. M. (2005). La christianisation de l'Afrique. *Pallas, 68*, 316.
19. Monceaux, P. (1901). *Hisoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe* (Vol. 01 Tertullien et les origines). Paris: Ernest Leroux.
20. Monceaux, P. (1905). *Histoire littéraire de l'Afrique du nord depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe* (Vol. tome 02). Paris: Ernest Leroux.
21. Orosius, P. (2014). *History against the pagans.* (J. Dryden, Trans.) Texas: Kolb foundation.
22. Pliny. (1879). *The letters.* (J. D. Lewis, Trans.) London: Trubner Co, Ludgate hill.
23. Smadja, E. (2005). Culte impérial et religion en Afrique du Nord sous le Haut Empire romain. *Dialogues d'histoire ancienne., 1*.
24. Suéton. (1928). *Les douzes césars.* (J. Estéve, Trad.) Paris, France: Chez F. L Schmied, peinture-graveur et impremeur.
25. Susan Raven .(1993) .*Rome in Africa* .New-York: third edition, published by routledge.
26. Tacite. (1965). *Annales.* (J. L. Burnof, Trad.) Paris, France: GF flamarion.
27. Tertullien. (1852). *Aux Nations.* (E. A. de Genoude, Trad.) Paris: Œuvres de Tertullien.
28. Tertullien. (1852). *De la couronne du soldat.* (t. p.-A. de Genoude, Trad.) Paris: Vivès.
29. أحمد غانم حافظ. (2007). ***الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار***. (حسين أحمد الشيخ، المحرر) الإسكندرية، مصر: دار المعارف الجامعية.
30. إدوارد جيبون. (1997). ***اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها*** (الإصدار ط 2، المجلد ج 1). (محمد علي أبو درة، المترجمون) الهيئة المصرية العامة للكتاب.
31. الربيع عولمي. ( 1437–1436هـ/2016–2017م). ال**مسيحية في المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين**. *أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم*. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة1.
32. باتريك لورو. (2008). ***الإمبراطورية الرومانية***. (جورج كتورة، المترجمون) ليبيا: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
33. ترتليانوس. (2001). ***المنافحة أو دفاع عن التوحيد***. (عمار الجلاصي، المترجمون) د د ن.
34. حسام الدين شاوش. (1444 هـ / 2022 م). **الصراع الوثني المسيحي في الإمبراطورية الرومانية من القرن الأول إلى القرن الرابع للميلاد**. *مجلة دراسات تاريخية، المجلد العاشر* (العدد الثاني).
35. حميدة نشنش. (2009/2008). **رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية في نهاية القرن الثاني ميلادي الى غاية السلام المسيحي 313م من خلال ترتليانوس وكبريانوس**. *مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ القديم*. جامعة الجزائر2.
36. روبين دانيال. (1999). ***التراث المسيحي في شمال إفريقيا دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى***. (تر: سمير مالك، المترجمون) بيروت، لبنان: دار منهل الحياة.
37. سمير آيت أومغار. (2017). م**ناخ شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية**: مقاربات جديدة. *Hespéris-Tamuda، 1*.


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

38. عبد الحميد عمران. (1433-1432/2011-2010م ). **الديانة المسيحية في المغرب القديم -النشأة والتطور 180 -430م.** *أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم*. كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري -قسنطينة-.

39. محفوظ خالد. (2020). **المقاطعات الافريقية خلال الفوضى العسكرية 235م-284م "بحث في تداعيات الأزمة وانعكاساتها على البروقنصلية وموريطانيا القيصرية"**. جامعة الجزائر 2.

40. محفوظ خالد. (2022). **النخبة الإفريقية المرومنة ومواقفها من الإحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم "القديس كبريانوس نموذجا"**. *مجلة الحقيقة للعلوم الإجتماعية والإنسانية، 21*(03)، 214-195.

41. محفوظ خالد. (01 جوان, 2024). **الخطيب أرنوبيوس والسلطة الرومانية (قراءة في مؤلف "أعداء الأمة")**. *مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 09*(العدد 01).

42. محمد الحبيب بشاري. (جانفي - جوان, 2013). **الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها**. *مجلة عصور*(العدد 20).

43. محمود محمد الحويري. (1995). *رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية* (الإصدار ط 3). القاهرة، مصر: دار المعارف.


Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)